

الباب الثالث

لمحة عامة من سورة الأعراف

أ التعريف بسورة الأعراف

السورة من كلمة سار يسير بمعنى سور الحائط أو تسلق.^١
السورة لغة ما طال من البناء إلى جهة السماء وحسن المنزلة.^٢ أما
السورة قال أحمد ورصن منور: المتزلة أو الفضل والعلامة وطال من
البناء.

سورة الأعراف هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وهي
مكية ومن السبع الطوال، وعدد آياتها ست ومائتان.^٣ نزلت هذه
السورة لتفصيل في قصص الأنبياء، وبيان أصول الدعوة الإسلامية

¹ Ahmad Warson Munawwir, kamus al-Munawwir, (Surabaya: Pustaka Progressif, 1997), p.677

² لويس معلوف، المنجد في اللغة الأعلام، (بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٥م)، ص. ٣٦٢

³ محمد سيد طنطاوى، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٩٢م)، ص. ١٣٧١

من توحيد الله عز وجل، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة.^٤ سميت هذه السورة بسورة الأعراف لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، روى ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وتحلفت بهم حسناتهم عن دخول النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.^٥

الأعراف مكية بالإجماع وقد أطلق القول في ذلك عن ابن عباس وابن الزبير، واستثنى قتادة آية (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) رواه عنه أبو الشيخ وابن حبان، قال السيوطي في الانتقان : وقال غيره : من هنا إلى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) مدني كأن قائل هذا رأى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض بالمعنى فلا يصح أن يكون بعضها مكية وبعضها

^٤ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص. ٤٣٤

^٥ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ج. ٧-٨، ص. ٤٩٠

مدنيا.^٦ وبهذا النظر نقول : ان ما قبل هذه الآيات وما بعدها في سياق واحد وهو قصة بني اسرائيل على ان الغاية وهي (واذ أخذ ربك) غير داخله المغيا فهي بده سياق جديد عام. ومقتضى ذلك ان السورة كلها مكية وهو الصحيح المختار.

أما في كتاب التفسير الكبير، سورة الأعراف آياتها ست ومائتان آية. وهي مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠، فمدينة نزلت بعد الهجرة النبوية.^٧ وعند أحمد مصطفى المراغي، سورة الأعراف عدد آياتها خمس ومائتان وهي مكية.^٨ ولم أقف على ما يضبط به تاريخ نزولها؛ وعن جابر بن زيد أنها نزلت بعد سورة (ص) وقبل سورة (قل أوحى) {الجن: ١}، وظاهر حديث ابن عباس في صحيح البخاري أن سورة (قل أوحى) {الجن: ١}، أنزلت في أول

^٦ الشيخ محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، (مصر: حقوق الطبع والترجمة محفوظة له، ١٢٩٨م)،

^٧ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م)، ج. ١٤، ص. ١٦٠.

^٨ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦م)، ج. ٨،

الإسلام حين ظهور دعوة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم، وذلك في أيام الحج، ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوجه بأصحابه إلى سوق عكاظ، فلعل ذلك في السنة الثانية من البعثة، ولا أحسب أن تكون سورة الأعراف قد نزلت في تلك المدة لأن السور الطوال يظهر أنها لم تنزل في أول البعثة. ولم أقف على هاتين التسميتين في كلام غيره.^٩

ب مضمون سورة الأعراف

أما مضمون سورة الأعراف فهو ما يلي :

١. القرآن كلام الله: افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن العظيم

معجزة الرسول الخالدة، وأنه نعمة من الله، وأنه يجب اتباع

تعاليمه.

٢. أبوة آدم عليه السلام: الناس جميعاً من أب واحد، أمر الله

الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة

وتقديس، والشيطان عدو الإنسان.

^٩ مُحمَّد طاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ج.٨، ص.٧.

وقد أعيد التذكير بقصة آدم مع إبليس، وخروجه من الجنة، و هبوطه إلى الأرض، بسبب وسوسة الشيطان رمز الشر والباطل وصراعه مع الإنسان الذي يدعو إلى عبادة الله وإلى الخير والحق، تأكيدا لما ذكر في سورة البقرة.

٣. إثبات التوحيد: وهو الإقرار بوحداية الله، و عبادته وحده، وإخلاص الدين له، والاعتراف بحقه وحده في التشريع والتحليل والتحريم: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء).

٤. الوحي والرسالة: الوحي ثابت يتضمن هنا إنزال القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، و جوهره التكليف بالرسالة الإلهية، وبعثة الرسل إلى الناس: (يبنى ءادم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم ءايتي).

٥. تقرير البعث والجزاء في عالم الآخرة: تضمنت السورة الكلام عن البعث والإعادة يوم القيامة: (كما بدأكم تعودون)

والجزاء والحساب وانقسام الناس بسببه إلى فرق ثلاث: فرقة المؤمنين الناجين أهل الجنة، وفرقة الكافرين الهالكين أهل النار، وأصحاب الأعراف وهو سور بين الجنة والنار.

٦. أدلة وجود الله: أقام الله تعالى الأدلة الكثيرة على وجوده مثل خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمر الله، وإخراج الثمرات من الأرض.

٧. التهديد بالإهلاك: أهلك الله الأمم الظالمة عبرة لغيرها، وأندر الناس بإنزال العذب المماثل، ورغب بالإيمان والعمل الصالح لإفاضته الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف: ٩٦] وكذا لإرث الأرض والاستخلاف على الآخرين: (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨].

٨. التنديد بعبارة الأصنام، والتهكم بمن عبد ما لا يضر ولا
ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، من أحجار وهياكل، وكذلك
كله لتقرير مبدأ التوحيد الذي ختمت به السورة كما بدئت
به.^{١٠}

في نهاية هذه الرسالة اعتمادا على هذه الملاحظة السابقة فإن
سورة الأعراف مهدت لمقاصدها ببيان عظمة الكتاب وجلال هدايته
وقوة حجته في توضيح الدعوة وأنذار المخالفين. ثم تناولت أهداف
الدعوة بتقرير رسالة الإسلام وبيان توحيد الله في العبادة والتشريع
والتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ثم سلكت السورة بالتذكير إلى النعم والتخويف من الغداب والنعم
كما ذكر واضحا في السورة من قصص الأنبياء.

^{١٠} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م)، ص ٤٩٢.

ت أسباب النزول لسورة الأعراف

نزلت هذه السورة بتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة، وهي كبيرة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله عز وجل، وتقرير البعث والجزاء، وإثبات الوحي والرسالة، ولا سيما عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.^{١١} من عهد النبي صلى الله عليه وسلم - أخرج النسائي، من حديث ابن أبي مليكة، عن عروة عن زيد ابن ثابت : أنه قال لمروان بن الحكم : (مالي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور وقد رأيت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقرأ فيها بأطوال الطويلين) قال مروان قلت : (يا أبا عبد الله ما أطول الطويلين)، قال : (الأعراف). وكذلك حديث أم سلمة - رضي الله عنها- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في المغرب بطولى الطويلين. والمراد بالطويلين سورة الأعراف وسورة الأنعام فإن سورة الأعراف أطول من سورة الأنعام، باعتبار عدد الآيات. ويفسر

^{١١} وهمة الزحيلي، التفسير المنير، ص. ٤٩٠.

ذلك حديث عائشة رضي الله عنها. أخرج النسائي، عن عرون عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرقها في ركعتين.

ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى: (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال) الآية. ولم يذكر في غيرها من سور القرآن، ولأنها ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة. ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، ولكنه ذكر بلفظ (سور) في قوله : (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) في سورة الحديد.

وقد روى أن سورة الأعراف نزلت قبل سورة الأنعام، وأنها نزلت مثلها دفعة واحدة، لكن سورة الأنعام أجمل لما اشتركت فيه السورتان، وهو : أصول العقائد وكمليات الدين التي قدمنا القول فيها، وهي كالشرح والبيان لما أوجز في الأنعام، ولا سيما عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص الرسل قبله وأحوال أقوامهم، وقد

اشتملت سورة الأنعام على بيان الخلق كما قال: (هو الذي خلقكم من الطين) وبيان القرون كما قال: (كم أهلكتنا من قبلهم من قرن) وعلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم، وجاءت هذه مفصلة لذلك، فبسّطت فيها قصة آدم، وفصلت قصص المرسلين وأمهم وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل.^{١٢}

ث مناسبة سورة الأعراف

أما مناسبة سورة الأعراف بالسورة قبلها (الأنعام) فكما يلي:

سورة الأعراف أطول من سورة الأنعام، فلو كان ترتيب السبع الطول مراعى فيه تقديم الأطول. فالأطول مطلقاً لقدمت الأعراف على الأنعام، على أنه قد روى أنها نزلت قبلها، والظاهر أنها نزلت دفعة واحدة مثلها، فلم يبق وجه لتقديم الأنعام إلا أنها أجمع لما تشترك السورتان فيه وهو أصول العقائد وكليات الدين التي أجمعنا جل أصولها في خاتمة تفسيرها، وكون ما أطيل به في الأعراف كالشرح لما

^{١٢} أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ص. ٩٧

أوجز به فيها أو التفصيل بعد الإجمال، ولا سيما عموم بعثة النبي صلى الله عليه وخصص الرسل قبلها وأحوال أقوامهم، وقد بينا بعض هذا التناسب بين السورتين مع ما قبلهما في فاتحة تفسير الأول (راجع صلى ٢٤٠ وما بعدها ج ٧ ط الهيئة) وسنزيده تفصيلا فيما نذكره في خاتمة الأعراف على نحو ما ذكرناه في خاتمة الأنعام من الأصول الكلية فيها إن أحيانا الله تعالى.^{١٣}

وأما سبب تأخير نزول الأنعام فهي مبني على ما علم من التدرج في تلقين الدين ومراعاة استعداد المخاطبين فيه وهي أجمع للأصول الكلية ولرد شبهات المشركين، والفرق ظاهر بين ما يراعى من الترتيب في دعوتهم وما يراعى في تلاوة المؤمنين للقرآن.

ذكر السيوطي في المناسبة بين السورتين ما نقله الألوسي عنه، وهو أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وفيها (هو الذي خلقكم من طين ٦ : ٢) وقال سبحانه في بيان [ص : ٢٦١] القرون : (كم

^{١٣} الشيخ محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، ص ٢٩٥.

أهلكنا من قبلهم من قرن ٦ : ٦) وأشير إلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم وكان ما ذكر على وجه الإجمال - جيء بهذه السورة بعدها مشتملة على شرحه وتفصيله، فبسط فيها قصة آدم، وفصلت قصص المرسلين وأممهم وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل.^{١٤}

وأما مناسبة سورة الأعراف بالسورة بعدها (الأنفال) كما يلي:

أنها في بيان حال خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم مع قومه، وسورة الأعراف مبينة لأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم، هذا هو العمدة. وهناك تناسب خاص بين عدة آيات من السورتين يقوي هذا التناسب، ولكنه لا يصح أن يكون شيء منه سببا للمقارنة بينهما؛ لأن مثل هذا الاتفاق في بعض المعاني مكرر في أكثر السور الكبيرة، وأنقل هنا عن روح المعاني ما نقله عن السيوطي في وضع هذه السورة هنا وما تعقبه به وهو : والظاهر إن وضعها هنا توقيفي،

^{١٤} الشيخ محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، ص. ٢٩٥

وكذا وضع براءة بعدها، وهما من هذه الحيثية كسائر السور، وإلى ذلك ذهب غير واحد كما مر في المقدمات.

وقد كان يظهر في بادئ الرأي أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس وهود، لاشتراك كل في اشتغالها على قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنها مكية النزول خصوصا أن الحديث [ص : ٤٨٥] ورد في فضل السبع الطوال، وعدوا السابعة بيونس وكانت تسمى بذلك كما أخرجه البيهقي في الدلائل، ففي فصلها من الأعراف بسورتين فصل للنظير من سائر نظائره، هذا مع قصر سورة الأنفال بالنسبة إلى الأعراف وبراءة.^{١٥}

أما في كتاب التفسير المنير فمناسبة سورة الأعراف بالسورة بعدها فكما يلي: أن سورة الأنفال في بيان حال الرسول صلى الله

^{١٥} تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار، الشيخ محمد عبده، ص. ٥٨٢.

عليه وسلم مع قومه، وسورة الأعراف مبينة لأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم.^{١٦}

ج سورة الأعراف في دراسة نحوية

سورة الأعراف من الأشياء التي تمت دراستها كثيرون من حيث اللغة، وهي النحوية، كما في مباحث النعت والمنعوت، الاستثناء "إلا"، و أسلوب المنادى.

١. الآيات التي تتضمن النعت والمنعوت في سورة الأعراف التي

يصل عددها ٣١ آيات، هذا البحث كتبه فتم ديان

كحر.^{١٧} واحد منهم هو كما يلي:

(١) قوله تعالى سورة الأعراف : ١٦ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَ

قُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

^{١٦} وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م)، ج.٩-١٠، ص.٢٤٩.

^{١٧} فتم ديان كحر، النعت والمنعوت في سورة الأعراف، (مكاسر: جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية، ٢٠١٧م).

(٢) قوله تعالى سورة الأعراف : ٤٧ قَالَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

(٣) قوله تعالى سورة الأعراف : ٦٠ قَالَ الْمَلَأْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ.

٢. الآيات التي تتضمن الاستثناء "إلا" في سورة الأعراف التي يصل عددها ٢٢ آيات، هذا البحث كتبه حليلة السعدية.^{١٨} واحد منهم هو كما يلي:

(١) قوله تعالى سورة الأعراف : ٨٣ قَالَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ.

(٢) قوله تعالى سورة الأعراف : ٤٢ قَالَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

^{١٨} حليلة السعدية، الاستثناء "إلا" في سورة الأعراف، (سورابايا: جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، ٢٠١٥م).

(٣) قوله تعالى سورة الأعراف : ٩٤ قَالَ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِا لِبَاسَاءِ وَ ا لَضْرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ.

٣. الآيات التي تتضمن أسلوب المنادى في سورة الأعراف التي
يصل عددها ٢٨ آيات، هذا البحث كتبه عارف حاكم.^{١٩}
واحد منهم هو كما يلي:

(١) قوله تعالى سورة الأعراف : ١٩ وَيَأْدُمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ.

(٢) قوله تعالى سورة الأعراف : ٢٣ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

(٣) قوله تعالى سورة الأعراف : ٢٦ يَبْنِيْ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لَبَاسًا يُؤَا رِي سَوَا تِكُمْ وَرِيْسًا.

^{١٩} عارف حاكم، أسلوب المنادى في سورة الأعراف والأنفال، (مكاسر: جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية،